مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح
الزيارة الجامعة الكبيرة

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّـون

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 10 / 06 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ والصّلاة عَلىَ رَسولِ الله وآلِهِ آلِ الله

واللَّعْنُ على أعدائِهم وأَعْدَاء شِيعَتِهم أَعْدَاء الله إلى يَومِ لقاءِ الله

الحلقة الرابعة

معنى أَهْلَ بَيْتِ النُّبُـوَّةِ

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، وهذه الحلقةُ الرابعةُ من برنامجنا الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة، كما اتفقنا في الحلقات الماضية أننا نقرأُ الزيارة الجامعة الكبيرة من مفاتيح الجنان لتوفر هذا الكتاب بين يدي المؤمنين والمؤمنات من محبّي أهل البيت صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين.

في الحلقة السابقة شرعنا في قراءة أول عِبارةٍ مِنْ عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة حين يبدأ الزائر فيقول: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**. تَقَدَّمَ الكلامُ في الحلقة الماضية في معنى السلام وتناولت جُمَلَةً من الأحاديث والروايات الشريفة التي رُويت عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا زِلنا نتناول عبائر هذه الزيارة الشريفة – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – في هذه الحلقة أتناول هذه العبارة: **يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**. بيّنتُ معنى السَّلام في الحلقة الماضية، أتناول في هذه الحلقة معنى: يا أهل بيت النبوة، أول شيءٍ أتناوله ما جاء في الروايات الشريفة والتي سأبقى دائماً أعود إليها وأتناولها بالشرحِ والبيان من دون أن أذهب في تفاريع وجوانب من هنا ومن هناك.

الروايةُ يرويها شيخنا الصدوق، **عن أبي بصيرٍ قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: مَنْ آلُ محَمَّد؟** – نحن هنا نُسَلِّمُ عليهم صلوات الله وسلامهُ عليهم، نُسَلِّمُ عليهم فنقول: اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ فمن هم أهل بيت النبوة؟ – **عن أبي بصيرٍ قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: مَنْ آلُ مُحَمَّد؟ قال: ذريتهُ، آل مُحَمَّد ذريتهُ** – وذريتهُ مُنحَصِرةٌ في فاطمة، فذريتهُ وُلدُ فاطمة، والكلمات النبويةُ واضحةٌ صريحة: **كُلُّ نبيٍ ذريتهُ من صُلبه وذريتي من صُلبِ عَليٍّ وفاطمة – قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام** – أبو بصير يقول – **مَنْ آلُ مُحَمَّد؟ قال: ذريتهُ، فقلتُ: مَنْ أهل بيتهِ؟ قال: الأئمة الأوصياء، فقلتُ: مَنْ عترتهُ؟ قال: أصحاب العباء** – الرواية واضحة وصريحة وجلية في بيان معاني هذه المُصطلحات، عندنا عنوان آل مُحَمَّد، وعندنا عنوان أهلُ بيتهِ، وعندنا عنوان العترة الطاهرة – **مَنْ آلُ مُحَمَّد؟ قال: ذريتهُ** – ذريتهُ ذريةُ فاطم – **فقلتُ: مَنْ أهل بيتهِ؟ قال: الأئمةُ الأوصياء، فقلتُ: مَنْ عترتهُ؟** – العترة هي الشجرة، أصل الشجرة، في لغة العرب كلمةُ العترة هو أصل الشجرة – **فقلتُ: مَنْ عترتهُ؟ قال: أصحاب**

العباء – أصحاب العباء أنت تعرفهم، أصحاب العباء مع رسول الله عليٌّ وفاطمة والحسنان صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين – **فقلتُ: مَنْ أمَّتهُ؟ قال: المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند الله عز وجل المُتَمَسكون بالثقلين الَذين أُمروا بالتمسك بهما كتاب الله وعترتهُ أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهُما الخليفتان على الأُمَّة عليهم السلام** – السلام على العترة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليه، الرواية جميلة جداً، هذه الرواية أقرأها الآن من الجزء الخامس والعشرين من كتابِ بحار الأنوار لشيخنا المجلسي وهو ينقلها عن كتاب معاني الأخبار لشيخنا الصدوق رحمة الله عليه، رواية واضحة جداً وصريحة وجميلة في نفس الوقت ولا تحتاجُ إلى شرحٍ كثير، أعيد قراءتها لأهميتها ولأجل أن يتركز ما جاء فيها من معنىً في أذهان من يستمعُ إلي – **قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: مَنْ آلُ مُحَمَّد؟ قال: ذُريته، فقلتُ: مَنْ أهل بيته؟ قال: الأئمة الأوصياء، فقلتُ: مَنْ عترتهُ؟ قال: أصحابُ العباء، فقلتٌ: مَنْ أُمَّتهُ؟ قال: المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند الله عز وجل المُتَمَسِكون بالثقلين الذين أُمروا بالتمسك بهما كتاب الله وعترتهُ أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهما الخليفتان على الأُمَّة عليهم السلام** – الخليفتان الكتاب والعترة، ما يتعلقُ بما في الزيارة الجامعة الكبيرة التي بين أيدينا نحن نخاطب الأئمة – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أهْلَ بَيْتِ النُبُوَّةِ** – وسؤال أبي بصير – **فقلتُ: مَنْ أهل بيته؟ قال: الأئمةُ الأوصياء** – الحديث هنا عن الأئمة الأوصياء، الخِطاب هنا خِطاب مع الأئمة الأوصياء.

رواية ثانية من الروايات الجميلة جداً والواضحة، واضحة الدلالة، بينَّة جداً، الرواية، **عن غياث بن إبراهيم عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام عَنْ معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخَلِّفٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، من العترة؟** – سؤال وُجه إلى أمير المؤمنين، من العترة التي أشار إليها رسول الله في الحديث إني مخَلِّفٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، من العترة؟ ماذا أجاب الأمير عليه السلام – **فقال: أنا والحسنُ والحسينُ والأئمة التسعة من وُلدِ الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوضه** – رواية صريحة وجلية في بيان معنى العترة ولا أحتاجُ أن أذهب إلى أقوال الكلاميين، ولا أحتاجُ إلى أن أذهب إلى معنى كلمة الأهل والآل في اللغة، الروايات صريحة وواضحة، الزيارةُ الجامعة كلام مُحَمَّد وآل محَمَّد، وهذه الروايات رواياتهم، وهذه الكلمات كلماتهم جليةٌ صريحةٌ واضحة، الروايةُ قاطعةٌ جداً، لَمَّا سُئل الأمير من العترة التي جاء ذكرها في حديث الثقلين، بشكل واضح وبيّن ماذا قال؟ – **أنا والحسنُ والحسينُ والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله**

ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوضه.

رواية ثالثة مروية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامهُ عليه، هذه الروايات كلها جَمَعَها الشيخ الصدوق في معاني الأخبار، **عن محَمَّد بن سليمان الديلمي عن أبيه** – يعني عن سليمان الديلمي – **قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: جُعِلتُ فداكَ مَنْ الآل؟ قال: ذريةُ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، قال: قلتُ: فمن الأهل؟ قال: الأئمة عليهم السلام، فقلتُ: قولهُ عزَّ وجلَّ** ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ – ما المراد من كلمة آل في هذه الآية، السائل يسأل الإمام في البداية سأل الإمام، من الآل؟ قال: ذريتهُ، من الأهل؟ قال: الأئمة ثم سأل عن هذه الآية: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ من المراد من آل فرعون هنا؟ – **قال الإمام الصادق: والله ما عنى إلا ابنته** – آل فرعون الذين جاء ذكرهم في هذه الآية الإمام يقول: – **والله ما عنى إلا ابنته إنها ابنة فرعون** ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ – فالآل الذرية والأهل والعترة هم المعصومون صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين كما قال سيد الأوصياء العترةُ أنا والحسنُ والحسين والتسعةُ من ولد الحسين تاسعهم مهديهمُ وقائمهمُ، هؤلاء هم الذين نخاطبهم في هذه الزيارة الكريمة وفي أيِّ زيارةٍ أخرى، نحنُ حين نقول – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – إنما نقصدُ هؤلاء، نقصدُ عليّاً والحَسَنَ والحسين والتسعةُ المعصومين من ولد الحُسين، تاسعهم مهديهمُ وقائمهمُ إمام زماننا الحجةُ بن الحسن.

لذلك نحنُ إذا أردنا أن نستمر في قراءة الزيارة الجامعة سنصل إلى موطن من المواطن حينما نصل إلى هذه العبارة – **وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ، وَعِنْدَكُمْ ما نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَتْ بِهِ مَلائِكَتُهُ** – هنا حينما نصل إذا كان الخطاب في الزيارة إلى أمير المؤمنين نقول – **وَإِلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ** – إذا كان الخطاب مع سيد الأوصياء – **وَإِلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لم يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالمينَ** – إلى أخر الزيارة وإذا كان الخطاب مع الأئمة المعصومين من غير أمير المؤمنين إن كانوا جميعاً أو كان الخطاب مع واحدٍ منهم – **وَإِلى جَدِّكُمْ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ** – وإذا كنا نسلم في هذه الزيارة على سيد الأوصياء وعلى الأئمة فنقول: **وإلى أخيك يا أمير المؤمنين، وإلى جدكم سادتي الأطهار بعث الروح الأمين.** فالزيارةُ زيارةٌ لسيد الأوصياء وللمعصومين من ولده صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين.

هذا المعنى بشكلٍ مجمل – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – أهل بيتهِ إذاً المعنى واضح، قطعاً الزهراء صلوات الله وسلامهُ عليها، الزهراء داخلةٌ في العترة، وداخلةٌ في آلهِ، وداخلةٌ في أهل بيتهِ، بل إن الزهراء صلوات الله وسلامهُ عليها لها الحُجيةُ على الأئمة من ولد سيد الأوصياء، ألم يقل إمامنا الزاكي العسكري:

نحنُ حُجج الله على الخلق على العباد وفاطمة أمنا حُجةُ الله علينا، لكن الكلام هنا في هذا النص الشريف نحنُ نخاطبُ فيه سيد الأوصياء والأئمة المعصومين من ولده صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين، إذاً حين نقول: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – فاطمة من جملة هذا العنوان فهي سيدةُ بيت النبوة لكن بحسب الخطاب تارةً نوجه الخطاب إلى سيد الأوصياء وتارةً نوجه الخطاب إلى الأئمة المعصومين من ولده وربما نوجه الخطاب إلى كل أهل بيت النبي ففاطمة سيدةُ أهل بيت النبي صلوات الله وسلامهُ عليها – **يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – هؤلاء الآل وهؤلاء الأهل وهؤلاء العترة إلى أي جهةٍ نُسبوا؟ نُسبوا إلى بيت النبوة – **يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – فلا يتضح المعنى جلياً إلا أن نوضح معنى النبوة، ما المراد من النبوة؟

ولا أريد أن أذهب إلى التفاصيل اللغوية، ولا أريد أن أذهب إلى أقوال الكلاميين أو أقوال المفسرين في معنى النبوة، وإنما أتناول هذا المعنى من روايات النبي والأئمة صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين حتى تتضح الصورة دون الدخول في تفريعات، لا أريد أن أتناول مثلاً الفارقُ بين النبي والرسول، لا أريد أن أتناول مثلاً أن من الأنبياء من تأتيه نبوتهُ في المنامات، ومن الأنبياء من تأتيه نبوته عن طريق الملائكة يسمع الصوت ولا يرى الملك وأمثال هذه المعاني، هذه المعاني تنطبق على سائر الأنبياء من دون نبينا صلى الله عليه وآله، نبينا صلى الله عليه وآله نبوتهُ هي فوق الأنبياء، ونبوته فوق النبوات، لذا لا أدخل في هذه التفاصيل التي يتناولها الكلاميون والمُفسرون، أذهبُ مباشرةً إلى روايات المعصومين صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين لبيان معنى النبوة، نبوة نبينا صلى الله عليه وآله، في اللغة النبوة تعني العلو، نبا يعني علا، والنَبْوة المكان العالي في لغة العرب، فحينما تُشَدّد، النَبْوة هو المكان العالي، وطبعاً يأتي معنى النبوة بمعنى العلم، النَبْوة العلو أو المكان العالي وكذلك النبا يأتي بمعنى العلم، النبوة هو المكان العالي ولا يكون المكان عالياً من دون علم لأن العلو إنما هو في العلم وفي حقيقة العلم، النبوة، ما المراد من النبوة؟ النبوة في روايات أهل البيت معنىً واسع، أوسع من قضيةِ تبليغ رسالةٍ، أو تبليغ أحكامٍ شرعية، بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وآله، هناك المقام الأعظم للنبوة والمقام الأعظم للنبوة هو مقامُ الخلافة الإلهية المُطلقة، الله سبحانه وتعالى كان ولم يكن معه شيء ثم تكلم بكلمه هذه الكلمة أنه سبحانه وتعالى جعلها أساس الوجود، والروايات في هذا الكلام طويلةٌ وسنأتي على ذكر بعضها بحسب ما يسنحُ بها المقام، هذه الكلمة هي عنوان الخلافة الإلهية المُطلقة، لأن الله سبحانه وتعالى أستخلف هذه الكلمة على الوجود، وهذه الكلمة في حقيقتها هي الحقيقةُ المحَمَّدية، هي النور المحَمَّدي الأول هكذا تحدثت رواياتُ أهل البيت.

إذاً الخلافةُ الإلهية المطلقة إنما هي في الحقيقةِ المُحَمَّدية وأعلى مراتب وأعلى تجليات هذه الخلافة هي درجةُ النبوة، النبوة المُطلقة، ليس النبوة المحصورة في العالم الأرضي، النبوة في العالم الأرضي وإن كانت بهذه

المرتبة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ رحمة للعالمين لكل العوالم، هذه رحمة مطلقة لأنها تنشأ من الخلافة الإلهية المُطلقة، هناك الخلافةُ الإلهية أو قل بعبارةٍ أخرى الولاية الإلهية المُطلقة، أعلى مراتب هذه الولاية هي النبوة الختمية، هي النبوة الفاتحة الخاتمة، وحين أتحدث عن النبوة هنا بالمعنى المطلق لا بالمعنى الأرضي، كما قلت النبوة هو العلو، النبوة في المعنى الأرضي تتناسب مع العالم الأرضي، أما الحقيقة المُحَمَّدية فهي الحقيقة التي لها مقام الخلافة المُطلقة، مقام الولاية المُطلقة، مقام النبوة المُطلقة، وهذا معنى أوسع من أن يبحث في ضمن أُطر علم الكلام وفي ضمن أُطر أن النبي يوحى إليه عن طريق المنام أو أن يكلمه الملك ولا يرى الملك وأمثال هذه المعاني، الكلام هنا عن شيءٍ وسيعٍ وعميق جداً، لذلك سأتناول بعضاً من الأحاديث أو من الروايات التي تتناول هذا المعنى.

هذه رواية، وهذه الروايةُ رواها شيخنا الكليني في الكافي، وهذا هو الجزء الخامس عشر من بحار الأنوار، الشيخ المجلسي ينقل الرواية عن الكافي الشريف، الروايةُ: **عن مُحَمَّد بن سنان قال: كنتُ عند أبي جعفرٍ الثاني** – يعني جواد الأئمة صلوات الله عليه – **كنت عند أبي جعفرٍ الثاني عليه السلام فأجريتُ اختلاف الشيعة** – ذكرتُ أن هناك اختلافاً بين الشيعةِ في بعض المطالب في بعض الأمور، وقطعاً من أهم أسباب هذا الاختلاف هو عامل التقية وعدم استطاعتهم أن يتواصلوا مع الأئمة بسبب خوفهم من الظالمين – **كنت عند أبي جعفرٍ الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة فقال: يا مُحَمَّد** – يخاطب مُحَمَّد بن سنان – **يا مُحَمَّد إن الله تبارك وتعالى لم يزل مُتَفرداً بوحدانيته** – كان ولم يكن معه شيء – **ثم خلق مُحَمَّداً وعلياً وفاطمة** – طبعاً هذه الروايات قد يتراءى أنها تختلف، في بعض الروايات تذكر الأسماء بتمامها، في بعض الروايات تذكر اسم النبي فقط، في بعض الروايات تذكر هذه الأسماء الثلاثة، هذه الروايات كل واحدة ناظرة إلى جانب أو إلى جهة أو إلى حيثية، وكما يقول الحكماء لولا الحيثيات لبطلت الحكمة – **ثُم خلق مُحَمَّداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف دهر** – والأرقام والتقسيمات الزمانية والتقسيمات الوقتية في مثل هذه الروايات لا علاقة لها بالزمان الدنيوي، هذا الكلام قبل خلق الخلق، قبل أن توجد الأفلاك والنجوم والشموس والأرض وقبل كل شيء، فلا يوجد هناك زمان كهذا الزمان الذي نحنُ نعيشُ فيه – **إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ثم خلق مُحَمَّداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم** – هذه هي النبوة، هذه النبوة بالمعنى المطلق، هذه هي الخلافة الإلهية المُطلقة، هذه هي الولاية الكلية للنبي وآله، ليس الحديث عن أن الإمام صلوات الله عليه سلبه فلان وفلان ممن لا قيمة لهم خلافةً أو منصباً أو حكومةً على الناس.

خلافة النبي وأهل بيته خلافه إلهية أوسع من كل المعاني التي يتحدث عنها علماء الكلام مثلاً – **يا مُحَمَّد إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ثم خلق مُحَمَّداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء** – خلق جميع الأشياء يعني بعد ذلك خلق الزمان وخلقت الأفلاك، فألف دهر هذه المذكورة لا علاقة لها بالزمان الدنيوي – **ثم خلق مُحَمَّداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها** – أشهدهم كان لهم الإشراف – **وأجرى طاعتهم عليها** – أجرى طاعتهم على جميع الخلق – **وفوض أمورها إليهم** – هذه الرواية في الكافي الشريف – **فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون** – وهذا التحليل والتحريم ليس في الدائرة الشرعية، هذا التحليل والتحريم الجانب الشرعي جزءٌ منه، هذا التحليل والتحريم في الجانب التكويني والجانب التشريعي يتفرع بعد ذلك على الجانب التكويني، الرواية تتحدث عن البعد التكويني في الوجود: أشهدهم خلقها، أجرى طاعتهم عليها، على كل الأشياء لا يوجد هناك تحليل وتحريم للجمادات، الحديث هنا عن تكوين – **فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها** – أمورها التكوينية – **وفوض أمورها إليهم فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون ولن يشاءوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى** – مشيئتهم مشيئة الله – **ثم قال: يا مُحَمَّد** – الخطاب مع مُحَمَّد بن سنان – **هذه الديانةُ** – هذه العقيدة، الديانة العقيدة – **هذه الديانةُ التي من تقدمها مرق** – خرج من الدين من تقدم على هذه العقيدة يعني من لم يقبل بهذه العقيدة – **من تقدمها مرق** – مرق كمروق السهم حينما يخرج السهم من القوس يقال للسهم مرق، فلذلك هذا التعبير يرد في الروايات.

هنا تعبير مجازي كأن الذي يخرج من هذه الديانة كيف يخرج؟ يعني قلبه وعقلهُ لا يقبلان هذه العقيدة فإنما هو مارقٌ مرق، مرق من العقيدةِ ومن الدين – **يا مُحَمَّد هذه الديانةُ التي من تقدمها مرق ومن تخلف عنها مُحِق** – مُحِق يعني بطُل لا وجود لهُ – **ومن لزمها لحق** – الذي يلزم هذه الديانة لحق – **خذها إليك يا مُحَمَّد** – يا مُحَمَّد يا ابن سنان، خُذها إليك واضحةً صريحةً جليةً وكل الصيد في جوف الفرى، كل العقيدةِ أجملها الإمام في هذه الرواية، الرواية جميله جداً وعميقة في معناها ومختصره، الرواية مختصرة ومروية في الكافي الشريف عن إمامنا الجواد صلوات الله وسلامهُ عليه، أعيد قراءة الرواية، أنا أُعيد وأكرر هذه الروايات لأجل أن تتركز معانيها – **يا مُحَمَّد إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ثم خلق مُحَمَّداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها** – الطاعة التكوينية – **وفَوَّضَ أمورها إليهم فهم يُحِلون ما يشاءون** – تكويناً قبل التشريع – **ويحَرِّمون ما يشاءون** – تكويناً قبل التشريع – **ولن يشاءوا** – المشيئة التكوينية – **إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى، ثم قال: يا مُحَمَّد هذه الديانة** – هذه العقيدة – **التي من تقدمها مرق ومن تخلف عنها محِق ومن لزمها لحق**

خذها إليك يا مُحَمَّد – هذه منزلةُ النبوة المُطلقة، الولاية المُطلقة، الولاية الكلية، الحديث في هذه الرواية عن الولاية الكلية، أعلى مرتبة في الولاية الكلية، أعلى مرتبة هي مرتبة النبوة، إذاً حينما نخاطب المعصومين – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – السلامُ عليكم يا أهل الولاية، بيت النبوة هو بيت الولاية، بيت النبوة هو مركز الولاية، بيت النبوة يعني الخلافة الكلية، أعلى مرتبة في الخلافة الكلية هي مرتبة النبوة، النبوة الفاتحة الخاتِمة، الصادرُ الأول مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم، مُحَمَّد في وجوده الأول في وجوده الأعلى الذي من نوره أشتقت الأنوار.

رواية ثانية تتناول هذا الموضوع من جهة أخرى بنحوٍ فيه ملاحظة إلى حيثية ثانية، وإلا المضمون واحد، المضمون في النهاية واحد، وهذا التَكَثُّر وهذا التفصيل إنما هو لمراعاة الفهم الإنساني كما يقول إمامنا الصادق صلوات الله وسلامُ عليه كان العلم نقطةً واحده فكثرها الجاهلون، العلم في أصلهِ حقيقة واحده ولكن جهلُ الإنسان يدفعُ الإنسان إلى صناعة المفاهيم الاعتبارية، وهذا بحث خارج عن موطن حديثنا الآن، لكن في الفلسفة هناك هذا الموضوع واضح ومعروف موضوع المفاهيم الاعتبارية التي يصنعها الإنسان بالقدرة العقلية المودعة فيه، مفاهيم اعتباريه لأجل أن يسهل عليه التعلم ولأجل أن يسهل عليه التفكير ولأجل أن يسهل عليه إدراكُ المعاني المحيطة به، وإلا المفاهيم العقلية لا حقيقة لها في الواقع الخارجي وإنما هي في طبقة وفي أفق الاعتبار لذلك تسمى مفاهيم اعتبارية لا أريد الخوض في هذه القضية.

أشير إلى رواية ثانية أقرأ على مسامعكم نصاً آخر عن النبي وأهل بيته تتناول جهة أخرى ولكن كل الحديث عن الولاية الكلية وعن أعلى رتبه فيها وهي رتبة النبوة الكلية، الرواية الثانية ينقلها شيخنا المجلسي عن كنز الفوائد للمحدث الجليل الكراجكي رحمة الله عليه، الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله، ماذا يقول خاتمُ الأنبياء؟ – **إن الله خلقني وخلق عليّاً وفاطمةَ والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام** – هذه الرواية ذكرت الأسماء الخمسة، أنا قلتُ قبل قليل ليس هذا اختلافاً في الروايات وإنما كل رواية ناظرة إلى جهة من الجهات، يعني كل رواية تبيّن جانباً من الحقيقة – **إن الله خلقني وخلق عليّاً وفاطمةَ والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام** – متى؟ – **حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار** – قبل كل الخلق، نفس المضمون السابق خلقهم ثم خلق الأشياء بعد ذلك – **إن الله خلقني وخلق عليّاً وفاطمةَ والحسن والحسين قبل أن يخلق أدم عليه السلام حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار** – هذه المرتبة، هذا الأفق هو أفق الولاية الكلية، وأعلى رتبة في الولاية الكلية النبوة الكلية، هذا الأفق خارج عن أفق الأرض، خارج عن أفق السماء، خارج عن أفق العالم الطبيعي، خارج عن أفق العوالم السفلية

والعلوية، هذه هي الشجرة الزيتونة التي هيَ لا شرقية ولا غربية، هذه هي الشجرة الزيتونة التي هي أصلُ كلِ شيءٍ ومن زيتها كان الوجود ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ من زيت هذا الشجرة اشتعلت شمعة الوجود.

هذا الأفق هو الأفق اللا شرقي ولا غربي، حيث لا سماء، لا أرض، لا ظلمة، لا نور، لا شمس، لا قمر، وهنا حينما تُذْكَر الأرض وتُذْكَرُ الشمس والقمر باعتبار هذه الأشياء الإنسان غالباً يباشرها بحواسه وهو يعيش على الأرض، وبطبيعة الإنسان مشدودٌ إلى الحسيات، يستأنس بالمحسوسات، لذلك تُذكر هذه الأشياء وإلا هو حينما تقول الرواية لا سماء مبنية ينتهي الأمر لأن الأرض والشمس والقمر وسائر الأشياء إنما هي تحت إطار السماء، إنما هي في جو السماء، حينما أقول في جو السماء لا بمعنى الجو وإنما مقصودي أن هذه الأفلاك إنما هي واقعة تحت دائرة السماء الدائرة الأوسع لا بالمعنى الفلكي وإنما بالمعنى الوجودي – **فكانوا حين لا شيء فقال العباسُ:** – العباس عم النبي يسمع – **فكيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟** – كيف كانت البداية؟ – **فقال: يا عم لَمَّا أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة** – هذه الكلمة التي أشرت إليها في البداية – **تكلم بكلمة خلق منها نوراً** – هذي الكلمة الأولى، الحقيقة الأولى، ولها مجالي، من مجالي هذه الكلمة النور الأول، وإلا الكلمة الأولى هي الحقيقة المُحَمَّدية في التجلي الأول لها، ولهذه الكلمة تجليات – **يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نوراً ثم تكلم بكلمةٍ أخرى فخلق منها روحاً ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق عليَّاً وفاطمةَ والحسنَ والحسين فكنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس** – طبعاً لا النور الحديث هنا عن النور كنور الأشياءِ من حولنا، ولا الروح هنا كروح الأشياءِ من حولنا، هذا هو الروح الأعلى الذي من تجلياته الروح النازل في ليلة القدر.

الروح النازل في ليلة القدر هو الذي جاء في الكتاب الكريم ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الروح الذي هو من أمر ربي النازل في ليلة القدر هذا من تجليات ومن التجليات البعيدة عن الروح الأول الروح الأكبر الذي إليه الإشارة في هذه الرواية – **ثم تكلم بكلمةٍ أخرى فخلق منها روحاً** – فلا النور المذكور هنا هو النور الذي نعرفه ولا الروح الروح الذي نعرفه في اللغةِ أو في هذه العلوم التي نتحدثُ بها ونتكلم عنها وفيها وحولها، هذا كلامٌ خارج هذا الأفق الذي نحن فيه، هذه رموز وإشارات لا يعرفها إلا الله وهُم، وإلى هذه المنازل إلى هذه المقامات إشاراته – **يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا، يا علي لا يعرفني إلا الله وأنت، يا علي لا يعرف الله إلا أنا وأنت** – إلى هذه المنازل وإلى هذه المقامات إشارات خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، نحن نحول من بعيد لعلَّنا نشمُّ عطراً من بعيد، إذا كان هناك مثلاً قصر من قصور الملوك وفيه احتفال كبير ولا يستطيع كل الناس أن يدخلوا فحينما تهب العطور من بعيد الناس تشمها،

تشمُّ روائح الطعام، تشمُّ روائح الفرح والأعراس من بعيد، نحن نشمُّ عطراً وهذا أيضاً لا يكونُ إلا بتوفيقٍ من إمامِ زماننا صلوات الله وسلامه عليه، الوصول إلى مثل هذه المعاني تحتاج رعاية من إمام زمان كل زمان، إمامُ كُلِّ شيعةٍ في كلِ عصر بتوفيقهِ يصلون إلى هذه المعارف، وإلا هذه المعاني وهذه المعارف تحتاجُ إلى توفيق، تحتاجُ إلى قلوب تتقبلها وتهش إليها مُفعمة بعطرِ مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد، مشرقة بنور مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

إمامنا الباقر كما في رواية الكافي الشريف وهو يخاطب أبا خالدٍ الكابلي: **والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنورُ** – أضوءُ – **من هذه الشمس المضيئة وسط النهار** – أنورُ منها، هذه القلوب هي التي تستطيع أن تقترب نوعاً ما، شيئاً ما، كي تشمَّ عطراً ومن بعيد فهذه أسرارٌ في أسرار، هم قالوا: إن أمرنا سرٌ مستسر وسرٌ مقنعٌ بالسر وسرٌ لا يفيدُ إلا سر. هم هكذا قالوا، ولا عجب، ففي بعض كلماتهم الشريفة ويأتينا الحديث عنها: إن أمرنا إن حديثنا صَعبٌ مستصعب لا يحتمله لا نبيٌّ مرسل، قلتُ بأن الحديث الذي يذكره الكلاميون عن منازل الأنبياء لا علاقة له بهذا المعنى من النبوة، الحديث هنا يشير إلى هذه الحقيقة: إن أمرنا صعبٌ مستصعب لا يحتملهُ لا نبيٌّ مرسل ولا ملكٌ مقرب، من يحتمله يا بن رسول الله؟ قال: من شئنا. وهذا هو التوفيق الذي أشرت إليه، وهذا المطلب نأتي على بيانه إن شاء الله تعالى في قادم الأيام ونحن نشرح عبائر هذه الزيارة الشريفة.

استمر في قراءة الرواية – **ثم تكلم بكلمةٍ أخرى فخلق منها روحاً ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق عليَّاً وفاطمة والحسن والحسين فكنا نسبحه حين لا تسبيح** – لا تسبيح لا وجود لأنه ما من موجودٍ إلا وهو يسبح، خُلقوا قبل الوجود، قبل التسبيح وهم عَلموا الكائنات التسبيح هكذا في الروايات – **فكنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس** – ما المراد من هذا التسبيح؟ ما المراد من هذا التقديس؟ شيءٌ لا أعلمه أنا ولا يعلمه غيري، ومن يتصور أنه يعرف هذه المعاني فهو جاهلٌ مئة في المئة، لأن هذه المعاني لا تستطيع العقول أن تصل إليها، ما عندنا من إمكانات للإدراك إمكانات محدودة، وإنما نحن نطوف علّنا نشمُّ عطراً من بعيد – **فكنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس فلمّا أراد الله تعالى أن ينشيء خلقه فتق نوري** – النبي يقول: – **لمَّا أراد الله أن ينشيء خلقه فتق نوري** – كيف هو هذا الفتق؟ شيءٌ لا ندرك معناه – **فتق نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري، ونوري من نور الله ونوري أفضل من العرش** – والعرش هو أوسع مخلوقٍ في عالم الخلق، أوسع مخلوقٍ في عالم الخلق بعد الكلمة الأولى لذلك اشتُقَ من أعلى رتبة من رتب الخلافة الإلهية الكلية المطلقة، اشتُق العرش من نورِ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله – **فلمَّا أراد الله تعالى أن ينشيء خلقه فتق نوري فخلق منه العرش فالعرش من نوري ونوري من نور الله ونوري أفضل من العرش، ثم فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة**

فالملائكةُ من نور علي ونور عليٍّ من نور الله وعليٌّ أفضلُ من الملائكة، ثم فتق نور ابنتي – فاطمة – **ثم فتق نور ابنتي فخلق منه السماوات والأرض فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة ونور ابنتي فاطمة من نور الله وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثم فتق نور ولدي الحسن فخلق منه الشمس والقمر فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن ونور الحسن من نور الله والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحور العين فالجنة والحور العين من نور ولدي الحسين ونور ولدي الحسين من نور الله وولدي الحسين أفضل من الجنة والحور العين** –

طبعاً الرواية هنا ليس في مقام التفصيل وإنما الرواية في مقام الإجمال وتحدثت عن نماذج مما فُتِق من أنوارهم، الوجود بقضه وقضيضه كما هو مبيّنٌ في روايات كثيرة في أحاديث كثيرة عن النبي وعن الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين كلُ شيءٍ إنما هو مشتقٌ من أنوارهم.

الرواية هنا تتحدث عن نماذج مما فُتِقَ من أنوارهم ومما أشتُقَ من أنوارهم الشريفة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهم في تلكم المرتبة أيضاً لا يُصلى عليهم، هذه الصلوات نحن نذكرها تأدباً لأنها من آدابنا في هذا العالم الأرضي معهم صلوات الله عليهم، هم في تلكم المرتبة مرتبة منزهة حتى عن هذه المعاني عن معاني هذه القيود، وهذا مطلب عميق جداً أنا لا أريد الحديث عنه الآن ربما أتناوله في القادم من حلقات هذا البرنامج، مطالب كثيرة والموضوعات عميقة جداً ولا أستطيع أن أتناولها جميعاً إلا أنني أشير إلى بعضٍ منها إلى أطرافٍ منها لعل الصورة تكتمل، إذاً المراد من النبوة، النبوة بهذا المعنى حين نسلم على أئمتنا – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – هذا هو بيتهم وهذه هي نبوتهم التي ينتمون إليها، نبوة جدهم، هذه هي ولايتهم، هذه هي خلافتهم الإلهية، من هنا تتضح لنا ولو بشكلٍ إجمالي المعاني التي وردت في الزيارة الجامعة الكبيرة، السائل طلب من الإمام قولاً بليغاً كاملاً، القول البليغ الكامل لا يتناول جانباً من الجوانب لابد أن يتناول جميع الجوانب ولو بنحوٍ إجمالي وأنا هنا أبين المعاني بنحوٍ إجمالي، إذا أردتُ أن أبسط القول في كل هذه التفاصيل فإذاً سنقف عند النبوة ولا نستطيع أن نستمر في شرحِ عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة وستبقى الحلقات متواصلة في بيان معنى النبوة لكثرة النصوص الواردة عن النبي والأئمة في بيان هذه المراتب وبيان هذه الحقائق.

فقط أُشير إلى رواية أخرى، الرواية عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، الرواية تتحدث في جهةٍ أخرى في تجَلٍ أخر من تجليات النبوة، نحن هنا نريد أن نفهم ما المراد من قولنا: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ؟** النبوة هي العلو الأعلى والعلو الأعلى هو في المرتبة وفي ذلك الأفق الذي كان قبل هذا الخلق وقبل هذا الوجود، الرواية عن إمامنا الصادق عن آبائه وأجداده الطاهرين عن سيد الأوصياء ماذا يقول سيد

الأوصياء؟

إن الله تبارك وتعالى خَلَق نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله قبل أن خلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وقبل أن خلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداوود وسليمان عليهم السلام وكل من قال الله عز وجل في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ – إلى قوله – وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ – يعني جميع الأنبياء – **وقبل أن خلق الأنبياء كلهم بأربع مئة ألف سنة وأربعة وعشرين ألف سنة** – هذه الأرقام لا علاقة لها بالزمان الدنيوي، هذه مراتب في عالم الفعلية والانفعال، هذه في عالم الفعلية والانفعال من مراتب الوجود، هذه مراتب تتحدث عن التجليات، مراتب التجليات، وسيأتينا الكلام عن التجليات في هذا الخلق والتجليات في الخلق الأول لأجل أن تتضح الصورة وأن يكون الكلام متسلسلاً فلنجعل للخلق مرتبتين الخلق الأول هم الأنوار القادسة الأولى، والخلق الثاني كُلُّ الموجودات التي اشتُقت أنوارها من الأنوار القادسة الأولى.

فحين استعمل هذا الاصطلاح مرادي من الخلق الأول هم قبل الخلق، ومرادي من الخلق الثاني الوجود الذي اشتُق من أنوارهم الشريفة صلوات الله وسلامه عليهم، أعود إلى الرواية، الإمام هنا فَصّل لجهات أخرى، أنا قلت الروايات روايات المعارف كل رواية تتناول جهة من الجهات، لا يوجد تعارض بين هذه الروايات لذلك هناك عناوين تُذْكَر بنحو الإجمال في رواية، وفي رواية ثانية بنحو التفصيل، مَثَل هذه الرواية فيها شيء من التفصيل – **إن الله تبارك وتعالى خلق نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله قبل أن يخلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وقبل أن يخلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداوود وسليمان عليهم السلام وكل من قال الله عز وجل في قوله:** ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ – إلى قوله – وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ **وقبل أن يخلق الأنبياء كلهم بأربع مئة ألف سنة وأربعة وعشرين ألف سنة وخلق عز وجل معه** – مع مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، مع نوره الأعلى – **وخلق عزَّ وجل معه اثني عشر حجاباً** – هذه الحُجب التي تقدم الكلام عنها بعض الشيء في الحديث عن الحُجُب في معنى التكبير – **وخلق عزَّ وجل معه اثني عشر حجاباً: حجاب القدرة وحجاب العظمة وحجاب المِنّة وحجاب الرحمة وحجاب السعادة وحِجاب الكرامة وحِجاب المنزلة وحِجاب الهداية وحجاب النبوة وحجاب الرفعة وحجاب الهيبة وحجاب الشفاعة ثم حبس نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة وهو يقول سبحان ربي الأعلى** – القول هنا ليس القول اللفظي والدلالات ليس هذه الدلالات اللغوية التي نعرفها، هذه كلها

إشارات إلى حقائق أعظم مما نتصور – **ثُم حبسَ نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة وهو يقول سبحان ربي الأعلى وفي حجاب العظمة إحدى عشر ألف سنة وهو يقول سبحان عالم السر وفي حجاب المنة عشرة ألاف سنة وهو يقول سبحان من هو قائمٌ لا يلهو وفي حجاب الرحمة تسعة ألاف سنة وهو يقول سبحان الرفيع الأعلى وفي حجاب السعادة ثمانية ألاف سنة وهو يقول سبحان من هو دائمٌ لا يسهو وفي حجاب الكرامة سبعة ألاف سنة وهو يقول سبحان من هو غنيٌ لا يفتقر وفي حجاب المنزلة ستة ألاف سنة وهو يقول سبحان العليم الكريم وفي حجاب الهداية خمسة ألاف سنة وهو يقول سبحان ذي العرش العظيم وفي حجاب النبوة أربعة ألاف سنة وهو يقول سبحان رب العزة عما يصفون وفي حجاب الرفعة ثلاثة ألاف سنة وهو يقول سبحان ذي المُلك والملكوت وفي حجاب الهيبة ألفي سنة وهو يقول سبحان الله وبحمده وفي حجاب الشفاعة ألف سنة وهو يقول سبحان ربي العظيم وبحمده** – هذه الحُجُب التي مرَّ فيها صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الحُجُب إنما هي التجليات الربانية، التجليات الأحدية في هذه الذات المقدسة، هذه التجليات الأحدية، هذه التجليات الواحدية في هذه الذات المقدسة، هذه تجليات الأسماء في هذه الحقيقة النورية الأولى.

وهذه الآلاف المؤلفة من السنين هذه مراتب التجليات وهذه معاني لا ندركها وإنما نطوف حولها من بعيد تُشعرنا بأن هناك حقائق عُظمى وأعظم من العُظمى وأعظم من أعظم من العُظمى نحن لا نستطيع أن نتصورها، إنما ندرك شيئاً بالجملةِ من الألفاظ والكلمات – **وفي حجاب الشفاعة ألف سنة وهو يقول سبحان ربي العظيم وبحمده ثم أظهر اسمه على اللوح فكان على اللوح مُنوَّراً أربعة ألاف سنة ثم أظهرهُ على العرش فكان على ساق العرش مُثبتاً سبعة ألاف سنة إلى أن وضعهُ الله عزَّ وجل في صُلب آدم** – الرواية هنا تتحدث عن التجليات النزولية للحقيقة المحَمَّدية في جانب منها، وهنا الرواية لم تذكر كل التجليات النزولية، هذه مجرد أمثلة ونماذج كما مرَّ في الروايات السابقة.

هذه روايات المعارف تتحدث عن جانب من الحقيقة، عن شيء يقرب لنا المعاني بعض الشيء، وقد يبعدهُ في بعض الأحيان لكثافة أذهاننا، هذه الأذهان الكثيفة التي لا تتمكن أن تُدرك المعاني الشفافة، المعاني النورية في تلكم العوالم، هناك كثافة في هذه العقول، هذه العقول حبيسة في هذا العالم الأرضي، هذا العالم الذي تحيط به الحُجُب والغواسق الظلمانية، وهذه العقول حبيسة في هذا العالم أنى لها أن تدرك هذه الحقائق، ولكن كما يقول سيد الأوصياء: **ما لا يُدرك كُلُهُ لا يُترك كله.**

ثم أظهر اسمهُ على اللوح فكان على اللوح مُنوَّراً أربعة ألاف سنة ثم أظهرهُ على العرش فكان على

ساق العرش مثبتاً سبعة ألاف سنة إلى أن وضعهُ الله عزَّ وجل في صلب آدم ثم نقله من صلب آدم عليه السلام إلى صُلب نوحٍ عليه السلام ثم من صُلبٍ إلى صُلب – والصلب هو الظهر – **حتى أخرجهُ الله عزَّ وجل من صُلب عبد الله بن عبد المطلب فأكرمه بست كرامات** – هناك كرامات ست أُكْرِمَ بها النبي صلى الله عليه وآله – **فأكرمهُ بست كرامات، ألبسهُ قميص الرضا** – هذا الحديث ليس في جانب مادي، الحديث عن الحقيقة النبوية المتجلية في العالم الأرضي، بدأ الكلام عن النبوة في أصلها، في المرتبة العليا، ثم تنزلت هذه النبوة في تجليات إلى أن تجلت في النبوة الأرضية – **فأكرمه بست كرامات ألبسهُ قميص الرضا ورداهُ برداء الهيبة وتوجه بتاج الهداية وألبسه سراويل المعرفة وجعل تكتهُ تكة المحبة** – التكة الحزام الذي تُشد به السراويل – **وجعل تكتهُ تكة المحبة يشد بها سراويله وجعل نعلهُ نعل الخوف وناوله عصا المنزلة ثم قال: يا مُحَمَّد اذهب للناس فقل لهم قولوا لا آله إلا الله مُحَمَّدٌ رسول الله** – أكرمهُ بست كرامات ماذا نفهم من هذه العبارات؟

يمكنني أن أشرح العبارات شرحاً لغوياً ويمكنني أن أتخيل وأتصور لهذه العبارات معانٍ وقد استنبط البعض منها من الروايات لكنها ليست هي الحقائق، هذه حقائق ذكرت بنحوٍ مجمل الغرض منها أن نستشعر الأسرار العظيمة التي هي في دائرة النبوة في كل مراتبها، النبوة في الدائرة العالية قبل الخلق، والنبوة في الدائرة الأرضية – **ألبسهُ قميص الرضا ورداهُ برداء الهيبة وتوجه بتاج الهداية وألبسه سراويل المعرفة وجعل تكتهُ تكة المحبة يشد بها سراويله وجعل نعلهُ نعل الخوف وناوله عصا المنزلة ثم قال: يا مُحَمَّد اذهب إلى الناس فقل لهم: قولوا لا آله إلا الله مُحَمَّدٌ رسول الله وكان أصل ذلك القميص من ستة أشياء** – القميص ألبسهُ قميص الرضا، قميص الرضا هذا القميص باعتبار المُغطي للسراويل وهو اللباس الأوسع والأكبر – **وكان أصل ذلك القميص من ستة أشياء قامتهُ من الياقوت** – قامتهُ يعني القماش الأكثر الذي صُنِعَ منه القميص، يعني مثلاً حينما يلبس الإنسان ثوباً الجانب الأمامي والجانب الخلفي هو هذا يقال له قامة الثوب قامة القميص والقميص ثوب – **قامتهُ من الياقوت وكُمّاهُ من اللؤلؤ** – الكم هي الردن كُمّاهُ هذا كُم – **وكُمّاهُ من اللؤلؤ ودخريصهُ من البلور الأصفر** – الدخريص دخريص القميص هو الإضافات الجانبية التي تُضاف على القماش القصات لأجل توسعة القميص، هذه الكلمة ليست عربية كلمة أعجمية وعُرِّبت بعض الشيء، فالمراد من الدخريص، الدُخريص هو القماش القصات الجانبية التي تُضاف لتوسعة القميص، وهنا الرواية تريد أن تذكر كل التفاصيل، يعني أن هذه الحقيقة النبوية في كل تفاصيلها في كل أجزاءها لها خصوصيات غير موجودة في هذا الخلق – **ودخريصهُ من البلور الأصفر وإبطاهُ من الزبرجد** – يعني جانب الإبطين من القميص – **وإبطاهُ من الزبرجد وجُرّبانهُ من المرجان**

الأحمر – الجربان هو القماش الذي يبطن به فتحة القميص أو يحاط به فتحة القميص، الجربان هو هذا القماش الذي يوضع على جوانب فتحة القميص وهي كلمة غير عربية كلمة فارسية، في الأصل هذه الكلمة هي كلمة في اللغة الفارسية القديمة كلمة گريبان – **وجربانهُ من المرجان الأحمر وجيبهُ من نور الرب جل جلالهُ** – الجيب يعني فتحة القميص، الجرّبان هو البطانة أو الزينة، القماش الذي يُضاف على الفتحة، الجيب هو فتحة القميص – **وجيبهُ من نور الرب جل جلالهُ** – هذا الحديث هنا ليس عن ثوبٍ أو عن قميص، الحديث هنا عن ذات النبي، هذه الأوصاف أوصاف على نحو الكناية عن ذات النبي، أن حقيقة النبي بكل تفاصيلها بكل مراتبها هي هذه الأوصاف الموجودة فيها، وأنا أتناولها هذه الرواية إن شاء الله في مقامٍ آخر بالشرح لأنني إذا دخلت الآن في شرحها أحتاج إلى وقت طويل، أتناولها إن شاء الله تعالى بالشرح.

لكن بالجملة هذه الرواية تريد أن تبين لنا أن الحقيقة النبوية في العالم الأرضي حقيقةٌ سر لا تُدرك وأبعادها أبعادٌ إلهية ربانية، لذلك وجيبهُ جيبُ هذا القميص، وجيبهُ الجيب هو الفتحة التي يلبس منها القميص، الفتحة التي يظهر منها الإنسان، رأس الإنسان وجه الإنسان من خلال الجيب، يعني أن الحقيقة المشرقة من حقيقة النبي من أين تأتي؟ وجيبهُ من نور الرب، أن ما يصدر من حقيقة النبي هو مشرقٌ من نور الرب – **وجيبهُ من نور الرب جل جلاله** – ثم يستمر الأمير يقول – **فَقَبِل الله عزَّ وجل توبة آدم عليه السلام بذلك القميص** – بذلك القميص حين توسل بتلكم الحقيقة التي عرفها آدم – **وردَّ خاتم سليمان عليه السلام به** – بذلك القميص يعني بتلكم العقيدة، القميص هنا ليس قميص من قماش – **وردَّ يوسف عليه السلام إلى يعقوب عليه السلام به** – بذلك القميص – **ونجى يونس عليه السلام من بطن الحوت به وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام أنجاهم من المحن به** – بذلك القميص بالحقيقة المُحَمَّدية العلوية – **ولم يكن ذلك القميص إلا قميصُ مُحَمَّد** – قميص مُحَمَّد المراد من القميص هنا الولاية النبوة، المراد منها مرتبة محَمَّد صلى الله عليه وآله – **ولم يكن ذلك القميص إلا قميصُ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم** – الرواية عميقة في محتواها والرواية مشحونة بالإشارات وبالرموز وأنا قلت، قلت في كلامي بأن حديث أهل البيت عليهم السلام كالقرآن، حديث أهل البيت أيضاً على أربعة أفاق على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، كما قال إمامنا الصادق وهو يتحدث عن القرآن فقال العبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء، وهذا حديثنا كلهُ هو في عالم العبارة، إننا لم نخرج إلى عالم الإشارة لأن الإشارة بالنسبة إلينا أيضاً بعيدة المنال، نحن يمكن أن نتمسك بشراشر عالم الإشارة، وأنا بينت معنى الشراشر، الشراشر هذي الخيوط التي تكون موجودة في آخر السجادة في آخر البساط ألا توجد هناك

خيوط، هذه الخيوط تُسمى شراشر، نحن نتمسك بأذيال عالم الإشارة، إذا أدركنا عميق المعاني بالنسبة لنا وإلا فعالم الإشارة بالنسبة لنا هو بعيد المنال أيضاً، نحن أبناء عالم العبارة وحديثنا كلهُ في طور عالم العبارة، نعم في هذه الروايات ثَمَّةُ إشارات لكننا لا نُدرك حقائقها، لو أردنا أن نتمسك بشيءٍ منها فإننا نتمسك بأطراف أذيالها، بأطراف شراشرها.

هذه هي النبوة التي تتحدث عنها الزيارة الجامعة بحسب ما نفهمه في أفق العبارة من الروايات، علماً أنني لو بقيت أقرأ على مسامعكم ما جاء من الروايات في بيان معنى النبوة فإننا نحتاج إلى حلقات كثيرة جداً، وهذا الكلام لا على سبيل المبالغة، واللهِ نحتاج إلى حلقات كثيرة جداً جداً جداً حتى نتناول هذه القضية، لِذا أنني سأكتفي بهذا وإن شاء الله في طوايا الحلقات الآتية وفي بيان مضامين ومعاني فقرات الزيارة الأخرى سأبين بقدر ما أتمكن وبقدر ما يسنح به الوقت من هذه المعاني، لكن ما هي الخلاصة التي نصل إليها بعد أن تلوت على مسامعكم هذه الروايات؟

هذه الروايات بالجملة هي تتحدث عن جانبٍ من معنى النبوة الكلية الخلافة الإلهية المطلقة قبل هذا الخلق، وإن كان هذي الرواية الثالثة تحدثت أيضاً عن بعضٍ من صفات وخصائص النبوة الأرضية، وهذه النبوة الأرضية أيضاً نحن لا ندرك معناها، هذه النبوة الأرضية لها تجليات في عالم صعودها في عالمها الأرضي وفي عالم صعودها لها تجليات لا نستطيع الإحاطة بها، لربما من أفضل النصوص التي يمكنني أن أوردها للحديث عن تجليات النبوة الأرضية والتي هي من مجالي النبوة الكلية، النبوة الكلية أوسع، النبوة الأرضية هي من تجليات النبوة الكلية المطلقة قبل الخلق، من صور قريبة وبعيدة في نفس الوقت نملكها ما جاء في الكتاب الكريم في سورة النجم المباركة وهي ترسم لنا صورةً عن نبينا صلى الله عليه وآله وهو يصعد في عالم صعودهِ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى - إلى أن تقول الآيات - ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى *وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ هل يستطيع أحدٌ أن يشرح لنا هذه الآيات؟!

هذه الآيات لا تُشرح باللغة، يمكنني أن أشرحها باللغة، يمكنني أن أشرحها بقواعد البلاغة، يمكنني أن أشرحها وأشرحها بأكثر من طريقة، لكن هذه الآيات تتحدث عن معانٍ وعن منازل وعن مراتب خارجة عن هذه الأفاق خارجة عن أفاق اللغة خارجة عن أفاق البلاغة، هذه قضية أخرى ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾

ربما البعض لا يعرف معنى المِرَّة، المِرَّة هي الطبيعة ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ المِرَّة الطبيعة قد تكون الطبيعة المتوازنة ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ والآية تبين أن هذه المِرَّة مستوية متكاملة ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ ذو طبيعةٍ مستوية، ذو طبيعةٍ متكاملة ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ الأفق الأعلى الأفق الذي هو يخرج عن العوالم الشرقية والغربية ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ دنا فتدلى، التدلي له معاني، وهنا أنا لا أريد أن أتحدث عن تفسير هذه الآيات في وقتٍ آخر أتناول جانباً من معانيها التي أستطيع أن أبينها ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ إلى أن تقول الآية ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ أين؟ ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ سدرة المنتهى، جنة المأوى هذه ليست الجنان التي سيدخلها الناس بعد حساب يوم القيامة، هذه جنة أخرى، هذا عنوان معنىً آخر، جنة المأوى، المأوى الوطن وتحدثنا أن حب الوطن من الإيمان مرَّ الكلام في معنى هذا الحديث وهو من جملة معاني الزيارة، لكن هنا الحديث عن جنة المأوى جنة مأوى لمحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، أي شيءٍ يغشى هذه السدرة؟

معانٍ لا نستطيع أن نتصورها، ما هي سدرة المنتهى؟ لماذا استعملت هذه العبارة؟ سدرة المنتهى، المنتهى واضح لا شيء وراءها، السدرة لماذا استعملت هنا؟ سدرة المنتهى، السدرة أُخِذت من معنى السَدر والسَدر تأتي بمعانٍ، السَدر في لغة العرب تأتي بمعنى الاختفاء، بمعنى التغطية، يقال أن المرأة سدرت شعرها يعني أي غطت بدنها بشعرها، يقال إن الرجل سدر نفسه بثوبه ستر نفسه بثوبه، ومن هنا يقال لهذا الغطاء الذي يلبس على الرأس يقال له السيدارة، السيدارة أُخِذت من هذا الأصل من السَدر، السَدر هو الستر التغطية، لذلك يقال القلنسوة التي ليست لها أطراف تسمى سيدارة، السيدارة في لغة العرب غطاء الرأس، وسَدَر الرجل بدنهُ بثوبهِ أي غطى بدنهُ بثوبهِ، السَدر إذاً معناه هو التغطية والسَدر في لغة العرب أيضاً تأتي بمعنى تحير البصر، يقال سدر بصرهُ تحيَّر بصرهُ، إذاً نحن في مرتبةٍ أيُّ مرتبة؟

مرتبة الخفاء والتحير، ولكن البصر ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ هذا البصر بصر مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، الحديث هنا عن معانٍ وعن حقائق وعن أوصاف لا يمكن أن تُتَصور ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى﴾ عند المقام الذي هو مقام خفاء الحقائق، لماذا تخفى الحقائق؟ لأن الأنوار تتجلى وإذا تجلت الأنوار طُمِست كل الحقائق، هذا النور الساطع حينما يتجلى حتى في النور الحسي حينما يكون النور شديداً جداً لا يستطيع

الإنسان أن يرى لأن النور حينئذٍ يحول، قوة النور تحول فيما بين الإنسان وبين الرؤية، كما أن الإنسان حينما ينظر إلى قرص الشمس لا يستطيع أن يدقق النظر إليها لا يستطيع أن يملأ عينيه من الشمس، حينما يكون النور الحسي شديداً تنتهي الرؤية، عند سدرة المنتهى يختفي كل شيء لذلك في الروايات النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما رأيت شيئاً من الخلق هناك وكأن الخلق ماتوا، عند سدرة المنتهى، لكن عند هذه السدرة، عند هذا النور الساطع حيثُ يتحير البصر هل تحير بصر مُحَمَّد؟! الآية تقول ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ ما انحرف البصر، لم ينحرف بصر مُحَمَّد، لله أنت يا مُحَمَّد، هل هناك منزلة كمنزلة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله؟ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ هذه المنزلة ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ هنا حين تجلى النور، ماذا أقول؟ بأقصى ما يمكن! بأجلى ما يمكن! بأقوى ما يمكن! ما هي عبائري ومن أنا؟!!

تقف الكلمات تقف العبارات حينما سطع النور، لذلك في الروايات إن بين الله وبين الخلق سبعون ألف حجاب من نور وسبعون ألف حجاب من ظُلمة، لو رُفِعت هذه الحجُب تنتهي الموجودات، لا يبقى لها وجود، سُبحات وجههِ تحرق هذه الموجودات إحراق يعني لا بمعنى الإحراق المادي، لأن هذه الموجودات ستفنى عشقاً ينتهي وجودها، ثبات وجودها بهذه الحجب، ستفنى عشقاً، ستندك لذلك كانت هذه الحُجُب بين الله وبين الخلق، وكلامي هذا كلامٌ قاصر لأنني لا أدري كيف أصوغ الكلام حقيقةً، الكلام قاصر، العبارات قاصرة ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ هناك جنة المأوى عند سدرة المنتهى، هو أنا ماذا عرفت من سدرة المنتهى حتى أعرف جنة المأوى؟

قُلْ لي بربك نحن ماذا عرفنا من سدرة المنتهى حتى نعرف جنة المأوى؟! جنة المأوى منزلةٌ مرتبةٌ عند سدرة المنتهى يأوي إليها، يأوي إليها تكتنفهُ تحتويه، يعني هذه الحقيقة النبوية الصاعدة من العالم الأرضي، هذا التجلي الصعودي لهذه الحقيقة النبوية أين تُكتنف؟ تُكتنف في جنة المأوى، حب الوطن من الإيمان، الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، الله سبحانه وتعالى يخاطب النبي: الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، طبعاً في التفسير معاد من أسماء مكة لكن القضية أعمق وأبعد، المعاد هو جنة المأوى هذه، لرادك إلى معاد، وهذا الرد ليس هو بالموت هذا الرد في كل آنٍ من آنات رسول الله هو عند جنة المأوى، هذه المعاني ليست محصورة في وقتٍ معين في معراج معين، النبي صلى الله عليه وآله في كل لحظةٍ هو في عروج، في كل آن، معراج النبي لا يقاس بالزمان، هذا المعراج الذي تمَّ الحديثُ عنه، هذا المعراج الذي أُخِذ بلحاظ الزمان وإلا عندنا في الروايات كان له مئة وعشرون معراج للنبي، مئة وعشرون معراج، في كل ليلة جمعة في الروايات يُعرج به، في الروايات في كل يوم يُعرج به، وهذه المعارج مأخوذة باللحاظ الدنيوي، أما هو متى لم يعرج

ومتى ابتعد عن جنة المأوى حتى يحتاج للعروج إليها؟! هو منها وإليها ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ هناك حيث تندَّكُ الأنوار كل الأنوار تحت النور الأعظم لكن بصر مُحَمَّد لا زاغ ولا طغى ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ في الروايات الآية هنا تشير إلى الحقيقة الفاطمية ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ وأنا لا أريد الحديث عن هذه التفاصيل فقط أشرتُ إليها للفائدة، أتمنى أن تحين لي فرصة أخرى وأتناول هذه الآيات بالشرح والبيان لكنني سأذهب إلى الروايات، سأذهبُ إلى الروايات لأُتِم الحديث من حيث انتهيت حتى تتجلى لنا صورة النبوة في مرتبتها في هذا العالم الأرضي.

عندنا رواية في تفسير علي بن إبراهيم القمي، الرواية عن إمامنا الصادق عليه السلام وهو يتحدث عن النبي أنهُ أقربُ الخلق إلى الله تعالى، النبي صلى الله عليه وآله أقرب الخلق إلى الله تعالى – و**كان بالمكان الذي قال له جبرئيل لمَّا أُسري بهِ إلى السماء تَقَدَّم يا مُحَمَّد فقد وطأت موطئاً لم يطأهُ مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌ مرسل** – قبل قليل أنا قلت أن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله لا نبي مرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب – **تَقَدَّم يا مُحَمَّد فقد وطأت موطئاً لم يطأهُ مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌ مرسل** – والإمام يقول – **ولولا أن روحهُ** – أن روح النبي – **ونفسه كان من ذلك المكان** – من جنة المأوى أوى إليها، حب الوطن من الإيمان رجع إلى وطنهِ – **ولولا أن روحهُ ونفسهُ كان من ذلك المكان لما قدر أن يبلغهُ وكان من الله عزَّ وجل كما قال الله عزَّ وجل** ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ **أي بل أدنى أدنى من ذلك** – طبعاً الروايات أيضاً لا ننسى أنها حين تتحدث فهي تتحدث ضمن أفق المداراة، والله ما كَلم أهل البيت كما يقولون الناس إلا على قدر عقول الناس لا على قدر عقول أهل البيت أنفسهم، من منا يستطيع أن يفهم الكلام على قدر عقل عليّ بن أبي طالب؟!! مَن مِنا يستطيع أن يفهم الكلام على قدر جعفر بن مُحَمَّد!!

أبداً، إنما نحن نستطيع أن ندرك شيئاً من الكلام الذي يُقال لي أنا فلان بن فلان وابن فلانة، أنا هذا الذي أقف بين يدي الحسين عليه السلام وأنا أقول له: سيدي أبا عبد الله عبدك وابن عبد وابن أَمَتِك المقر بالرق، أئمتنا يحدثونا بهذا الأفق بأفق الذي أخاطب به الحسين – **عبدك وابن عبد وابن أَمَتِك المُقر بالرق** – الخطاب معنا بهذا الأفق، وإلا أينَ التراب وأين رب الأرباب كما يقول الحكماء، أينَ التراب وأين ربُّ الأرباب، القضية أوسع وأعمق من كل هذا، وأنا أعذر من يرفض هذه المعاني، إنما يرفض هذه المعاني لعلتين: لخسة ذوقٍ وطبع فيه ولقلة علم، وإلا هذه المعاني تنساب مع الفطرة تنساب مع الوجدان، الجهل وقلة الذوق وحينما أتحدث عن قلة الذوق عن قلة الذوق التألهي لا عن قلة الذوق في المطعم والمشرب

والملبس وإن كان هذا الذوق يتفرع عن ذلك الذوق، لكنني أتحدث عن الذوق التألهي، عن الذوق العقائدي، الذين يرفضون هذه المعاني هؤلاء مرضى يعانون من قلة علمٍ ومن قلة ذوق، كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سبيل المثال:

الرواية هذا هو تفسير البرهان، وهذا هو الجزء السابع من تفسير البرهان – **الرواية عن إمامنا الكاظم صلوات الله وسلامه عليه** ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ – تستمر الرواية إلى أن يقول جبرائيل عليه السلام: **هذه سدرة المنتهى كان ينتهي الأنبياء قبلك إليها** – يتحدث مع النبي في إسراءِهِ ومعراجه المأخوذ باللحاظ الدنيوي – **هذه سدرة المنتهى كان ينتهي الأنبياء قبلك إليها** – وإلا النبي صلى الله عليه وآله معراجه المُحَمَّدي لا يحتاج فيه إلى جبرائيل ولا إلى غير جبرائيل، جبرائيل خادم – **إن لنا مع الله حالات لا يسعنا فيها لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌ مُرسل** – هناك حالات لهم، هذه الحالات هي معراجهم – **إن لنا مع الله حالات لا يسعنا فيها لا نبيٌ مرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب** – هذا هو معراجهم الحقيقي، أما هذا المعراج الذي مأخوذ بلحاظ الدنيا، هذا المعراج الذي كان من بوابة الدنيا، هذا المعراج الذي كان بواسطة البراق، أما معراجهم الحقيقي فمن دون واسطة، من دون وسيلة، وهذا معنى عميق جداً نأتي إلى بيانه في وقتهِ إن شاء الله تعالى، لكن كل هذه تجليات لكل مرتبة من مراتب الحقيقة تجلي من التجليات، وهذا المعراج المأخوذ بلحاظ الزمن الدنيوي والمأخوذ بلحاظ الوسيلة والآلة بواسطة البراق هو أيضاً تجلي من تجليات العروج النبوي، تجلي من تجليات العروج المُحَمَّدي جبرائيل قال – **هذه سدرة المنتهى كان ينتهي الأنبياء قبلك إليها ثم لا يتجاوزونها وأنت تجوزها** – الأنبياء لا يتجاوزونها، أينَ الأنبياء من مُحَمَّد؟! – **هذه سدرة المنتهى كان ينتهي الأنبياء قبلك إليها ثم لا يتجاوزونها وأنت تجوزها** – ولقد جازها وجازها وجازها أبو الزهراء صلى الله عليه وآله وسلم.

الرواية فيها تفاصيل فقط أشير إلى موطن الحاجة، إلى أن يقول صلى الله عليه وآله: **ووقع عَلَيَّ السرور والاستبشار وظننت أن جميع الخلائق قد ماتوا ولم أرى غيري أحداً من خلقه** – ولا أعتقد أن دلالة أعظم على منزلته صلى الله عليه وآله أكثر من هذه الإشارة – **وظننت أن جميع الخلائق قد ماتوا** – الموت هنا العدم أليس الموت، الموت بمعنى هذا الموت الذي يعني انفصال الأرواح عن الأبدان فهو لم يرى شيئاً يعني انعدمت الأشياء – **وظننت أن جميع الخلائق قد ماتوا ولم أرى غيري أحداً من خلقه** – لم أرى غيري ليس الموت هو الموت بخروج الأرواح من الأجساد فإن الأجساد تبقى موجودة والأرواح تبقى موجودة والنبي قادرٌ على رؤيتها، الحديث هنا عن عدم – **وظننت أن جميع الخلائق قد ماتوا ولم أرى غيري أحداً من خلقه فتركني ما شاء الله** – إلى أن يقول – **فناداني ربي فقال تبارك وتعالى: يا مُحَمَّد**

– متى ناداه؟ يقول: **وإنما كنتُ أُبْصِرُ مثل مخيط الإبرة** – تشبيه هذا، مخيط الإبرة يعني ثقب الإبرة – **نوراً بيني وبين ربي لا تطيقهُ الأبصار** – لكن بصر مُحَمَّد ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ – **وإنما كنتُ أُبْصِرُ مثل مخيط الإبرة نوراً بيني وبين ربي لا تطيقهُ الأبصار فناداني ربي فقال تبارك وتعالى: يا مُحَمَّد، قلت: لبيك ربي وسيدي وإلهي لبيك، قال: هل عرفت قدرك عندي؟** – أين تجلى قدرهُ؟ حين لم يرى غير نفسهِ معه، ولم أرى غيري أحداً من خلقه فتركني ما شاء الله – **هل عرفت قدرك عندي وموضعك ومنزلتك؟ قلت: نعم يا سيدي، قال: يا مُحَمَّد هل عرفت موقعك مني وموقع ذريتك؟ قلت: نعم يا سيدي** – موقعهُ وموقع ذريته، موقعه وموقع أوصيائهِ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

روايةٌ أخرى عن حمران بن أعين – **قال: سألت أبا جعفر إمامنا الباقر عن قول الله عزَّ وجل في كتابه ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ فقال: أدنى الله مُحَمَّداً منه فلم يكن بينهُ وبينه إلا قفص لؤلؤ** – قفص لؤلؤ يعني شُباك، إلا قفص لؤلؤ، يعني شباك مقفص – **إلا قفص لؤلؤ فيه فَراشٌ من ذهب يتلألأ** – هناك فراش من ذهب يتلألأ – **فأُري صورة، فقيل له: يا مُحَمَّد أتعرف هذه الصورة؟ فقال: نعم هذه صورة علي بن أبي طالب** – هذه الحقائق وهذه المعاني نحن لا نستطيع أن نتصورها بالتصور الحسي بحيث نتمكن أن نتخيل لها حدوداً، إنما نتصورها بمعناها العام بمعناها المجمل – **أدنى الله مُحَمَّداً منه فلم يكن بينهُ وبينه إلا قفص لؤلؤ فيه فراشٌ من ذهب يتلألأ فأُري صورة، فقيل له: يا مُحَمَّد أتعرف هذه الصورة؟ – هذه الصورة أين رآها؟ رآها هناك حينما دنا فتدلى – أتعرف هذه الصورة؟ فقال: نعم، هذه صورة علي بن أبي طالب، فأوحى الله تعالى إليه أن زَوّجهُ فاطمة واتخذهُ وصياً** – هذه الرواية فيها إشارات ودلالات عميقة جداً وإن شاء الله في طوايا الحلقات الآتية سأتناول مثل هذه المعاني بالتدريج شيئاً فشيئاً بالشرح والبيان وشيئاً فشيئاً تتضح الصورة.

رواية يرويها شيخنا الطوسي سيد هاشم البحراني ينقلها عن الشيخ الطوسي – **عن النبي صلى الله عليه وآله: لمَّا عُرج بي إلى السماء دنوت من ربي عزَّ وجل حتى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى فقال: يا مُحَمَّد من تُحِبُّ من الخلق؟ قلت: يا ربي عليَّاً** – في ذلك الموقف هناك حيث أشرقت الأنوار وانطمست كل الحقائق ألم يقل صلى الله عليه وآله بأنهُ لم يرى أحداً غيره، الله يخاطبه ويناجيه – **من تُحب؟ قال: علياً، قال: ألتفت يا مُحَمَّد، فالتفتُ عن يساري هناك فإذا علي بن أبي طالب، من تحب يا مُحَمَّد؟ قال: عليَّاً، قال: التفت يا مُحَمَّد، فالتفتُ عن يساري فإذا علي بن أبي طالب** – ومن هنا جاء التعبير في آية المباهلة بأنفسنا، مُحَمَّدٌ هو عليٌّ وعليٌّ هو مُحَمَّد، هذا شيءٌ ونزرٌ قليل من مئات

من النصوص تتحدث عن خصائص مرتبة النبوة، عن خصائص مرتبة الولاية الكلية التي هي ولايتهم، والنبوة هي أعلى رتبةٍ في الولاية الكلية، هذه الروايات اقتطفتها من هنا ومن هناك، بعض هذه الروايات تتحدث عن النبوة الكلية التي هي قبل الخلق عن الكلمة الأولى، وروايات تتحدث عن النبوة الأرضية التي تجلت في مُحَمَّد بن عبد الله الذي هو أتم المجالي للاسم الأعظم على وجه الأرض، وروايات تحدثت عن مظاهر الصعود لهذه الحقيقة في العوالم العلوية العالية ﴿الذي فرض عليك القرآن لرَادُّكَ إلى معاد﴾ الحديث عن جنة المأوى التي هي مأوى النبوة.

بعد هذا البيان يمكنني أن أقول بأنه قد اتضح لنا شيئاً من معنى النبوة حين نخاطب نبينا ونخاطب أئمتنا فنقول: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – أختم حديثي بالسلام على أهل بيت النبوة فأقول:

السَّلامُ عليكم يا أهل بيت النبوة، يا أهل بيت النبوة أعينوني وأعينوا من يُحب أن يعرف شيئاً عنكم ولو من بعيد، أعينوني، أعينوني أن أعرف شيئاً عنكم، أعينوني أن أتقرب إليكم يا أهل بيت النبوة إني فقيرٌ في فنائكم سادتي آل مُحَمَّد، أنا عبدكم وابن عبدكم وابن أَمَتِكم المُقرُّ بالرق التارك للخلاف عليكم صلوات الله عليكم صلوات الله عليكم صلوات الله عليكم، وأقول لإخواني وأخواتي وأبنائي وبناتي ممن يتابعني في هذا البرنامج وأنتم أيضاً السَّلامُ عليكم يا شيعة أهل بيت النبوة، السلام عليكم يا أحباب أهل بيت النبوة، السلام عليكم وأنتم تسعون إلى معرفة أهل بيت النبوة.

أسألكم الدعاء جميعاً وإلى لقاءٍ على محبة ومعرفة أهل بيت النبوة في الحلقة القادمة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ